

مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية  
علمية محكمة، العدد ٩٤، شتاء ١٣٩٧ هـ. ش/  
٢٠١٨ م؛ صص ٢٠-١

## دراسة استراتيجيات مراعاة الأدب في الصحيفة السجادية

حسين تكتبار<sup>١\*</sup>، علي حاجي خاني<sup>٢</sup>، مهدي مقدسي نيا<sup>٣</sup>

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

٢. أستاذ مشارك في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة تربيت مدرس

٣. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٦/١٢/١٤ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٧/٠٣/٢٩

### الملخص

وفقاً للتداوليات يجب أن يكون لدينا مهارات لازمة للتجاح في تقديم الطلب. ولقيت التداوليات ونظرية الأدب كجزء منها في عالم العلم والبحث شيوعاً وترحيباً كبيرين وكانت لها إنجازات عديدة. إن الاختلاف في المكانة الاجتماعية والسياسية للأشخاص يقودهم إلى أسلوب خاص من التحدث ويسعى المتكلم في التواصل اللغوي لغلاً يحطم وجهه هو والمخاطب ومن حيث أن الإنسان لا يخاطب في الدعاء إلا الله كأكبر موجود في العالم فهو يسعى في التحدث معه أن يستخدم استراتيجيات خاصة لصيانة مكانة المخاطب ووجهه. هذا المقال عبر المنهج الوصفي - التحليلي وطبقاً لنظرية براون ولوينسون إلى جانب الاهتمام بآراء العلماء القدامى في هذا المجال يهدف إلى دراسة استراتيجيات مراعاة الأدب في الصحيفة لبيان أهم المناهج التي يستخدمها الإمام في التواصل اللغوي المهذب في الدعاء والموضوع جدير بالبحث بسبب أهميته وعدم معالجته بشكل مستقل. تشير النتائج إلى أنّ في الصحيفة أدوات تعديلية متعددة لتلطيف الأجواء وتقليل فرض المطالب للحيلولة دون تشويه الوجه. واستلهم لغة الإمام من الوحي الإلهي شكّل له لغة خاصة بلغت ذروة الالتزام بالأدب؛ كما يستخدم البيان غير المباشر، والأدب السلبي، والتعرض للطلب، ولقّه في أساليب كاستراتيجيات للتحكم على تأثير الكلام والموائمة بين تصريحاته اللغوية وصيانة الوجه.

**الكلمات الرئيسية:** الإمام السجاد (ع)؛ استراتيجيات الأدب؛ الصحيفة السجادية؛ الدعاء؛ صيانة الوجه.

## ١. المقدمة

في العلاقات الاجتماعية الروتينية اليومية قليل من لديه القدرات والمهارات اللازمة لمراعاة الأدب وعقد تواصل فعال مع أبناء المجتمع اللغوي؛ لأن مناهج واستراتيجيات التواصل الناجح والمهذب ليس لها وجود غريزي في الجمهور في كثير من الأحيان، وعقد الصلة اللغوية الفعالة عملية اكتسابية. إنّ التواصل فهم واحترام متبادل لآراء ووجهات نظر الآخر، بغض النظر عن توفر عناصر الاتفاق أو المحبة. التواصل اللغوي لا يتم بالاستناد إلى الكفاءة اللغوية فحسب «وعقدُ التواصل الناجح يحتاج إلى جملة من العلوم والتجارب والمهارات والشروط غير اللغوية التي تتدخل في تحديد الأداء اللغوي مما هو أوسع من استطاعة إنتاج جمل نحوية ذات هيكلية جميلة» (Cook, 1989: 6).

لقد شهد عصر الإمام السجاد (ع) تطورات سياسية واجتماعية وأدبية ملحوظة، «وأما اجتماعياً فقد ظهر الانحراف لدى السلاطين وحواشيهم في مجالس الجنس والخمر وغيرهما من أدوات اللهو، وأما أدبياً فقد انعكست الحوادث والانحرافات على الساحة الأدبية، فبرز أدب اللهو بكل مستوياته» (البستاني، ١٣٨١ش: ١٥٣) لكن نجد مقابل ذلك أن الأدب السوي قد احتفظ بشخصياته الطاهرة ومنها الإمام السجاد (ع) الذي قد مارس عملية توعية المسلمين حيال السلطة آنذاك. إنّ أدعيته المشهورة حالياً بالصّحيفة السجادية تحوي أربعة وخمسين دعاءً فهي مدرسة تربوية، تعدّ الانسان لاستثمار حياته وسعادة دنياه وضمان مستقبله. وتتجلى أهمية الصّحيفة السجادية في جملة من ضروب المعرفة وفي مقدمتها أدب الدعاء الذي رسم بناءه وأنواعه وفق صياغات خاصة تعدّ أدباً يختص بالإمام السجاد (ع) (المصدر نفسه، ١٣٨١: ٣٥٢). وهي من الآثار الموثقة التي وصلتنا من أهل بيت رسول الله وتواترت من عدة طرق. وهي تحمل في طياتها السّجايا الأخلاقية والقضايا العرفانية والاجتماعية، كما أنّها مليئة بالمعاني السامية والمعارف الإسلامية الجميلة التي سكبها الإمام في المفردات والتصاویر الفنية والأدبية الجميلة وأسلوبها الأدبي الغني فهي ليست أسوة في الدعاء فحسب، بل «هي من أغلا التراث الانساني، وأنفس ذخائر الفكر البشري، وأعلا أساليب البيان العربي»؛ (الجزائري، ١٩٩٧: ٢٣) ومن أعلى النماذج الأدبية بل وفريدها في مراعاة استراتيجيات الأدب في الصلة مع الله؛ لأن لغتها مستلهمة من الوحي الإلهي والقرآن الكريم.

هناك في لغة التواصل اليومي مناهج متعددة نستعين بها لطلب ما نحتاجه. بين أصدقائنا

الحميمين نسأل ما نريده بكل سهولة ودون مراعاة أيّ مبدأ؛ على سبيل المثال نقول لصديقنا: يا مُجّد أعطني القلم؛ أكتب يافلان و...؛ لكن في العلاقات الرسمية وغير الحميمة لا نسأل بهذه الطريقة؛ لأن لكل من العلاقات الرسمية وغير الرسمية، والحميمة وغير الحميمة منها لغة تُخاطب وتُواصل خاصّة بها. وفي العلاقات الرسمية نراعي مبادئ متعددة مستخدمين في هذه السياقات أفعالاً كلامية ك: من فضلك، عفواً، وغيرهما حتى نبتعد من تحطيم وجه المتلقّي أو إراقة ماء وجهه. وعلى كل إنسان أن يستخدم لكل ظرف عبارات وجملاً وأفعالاً كلامية ملائمة لذلك المقام، حيث لكل مقام مقال.

إن للدعاء آداباً مشروعة، وشروطاً مفروضة، ومن لزم تلك السيرة على شروط الآداب أوشك نيل ما سأل (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٤) والداعي يكون في مقام الخطاب والمناجاة مع الله تعالى (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٤٨) والحاجة إلى اكتساب مهارات التواصل واتخاذ الكتب السماوية وأحاديث الأئمة المعصومين (ع) كنماذج ومبادئ في مراعاة استراتيجيات الأدب تصل إلى ذروتها في الأدعية والصلة مع الله.

وإن هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة من العلم الإلهي، وفيها عبقة من الكلام النبوي، حتى قال بعض العارفين: «إنها تجري مجرى التنزيلات السماوية، وتسير مسير الصحف اللوحية والعرشية، لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة وثمار حدائق الحكمة» (المدني الشيرازي، ١١٢٠، ج ١: ٥١). وهي مدرسة المبدأ، والعقيدة، والصبر، والتضحية، والتسامح، والرحمة، والثورة على الشرّ والفساد بشنّى الألوان والأشكال... (مغنيه، د. ت: ٤٢) وتتمتع الأدعية بين التراث الديني الشيعي المتعدد بمكانة سامية لدراسة استراتيجيات الأدب، لأننا لا نخاطب في مناجاتنا إلا الله كأكبر موجود في الكون. وتحظى دراسة أبعاد مراعاة الأدب في الصحيفة التي بلغت ذروة الالتزام بالأدب وحسن السلوكية والتصرف والتعامل مع الله أهمية كبيرة، لأنها تبين مصاديق آليات مراعاة الأدب في كلام الإمام السجاد (ع) كمرجعية وأسوة للأدب.

## ٢. خلفية الدراسة

ونظراً لأهمية الصحيفة السجادية البالغة، فقد عالجها الباحثون وبرؤى متعددة. قام كريمي فرد (١٣٧٠) في أطروحته بدراسة المسائل الصرفية والنحوية والبلاغية في الصحيفة؛ ثمّ عالج الباحث نفسه

(١٣٧٥) الجماليّة في الصّحيفة في ضوء البلاغة القديمة؛ كما تعرّض فضل الله ميرقادي (١٣٧٩) للبنية الفنّية لأدعية الصّحيفة ومضامينها؛ درس علي أوسط خانجاني (١٣٨٤) أبعاد فخامة التعبير في الصّحيفة. درس وارن راثلين (٢٠٠٧، Warren Rothlin) استراتيجيات مراعاة الأدب في اللّغة العبرية والكتاب المقدس واللّغات الإفريقيّة؛ وبحث الخطيب (٢٠١٢) موضوع مراعاة الأدب في القرآن الكريم؛ خصّص محمود البستاني فصلاً من كتابه "تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي" لمعالجة الأبعاد الفنية لأدعية الصّحيفة؛ وقام بايزيدي وزملاؤه (١٣٩٢) بموضوع التّقابل في الصّحيفة؛ درس مقدسي نيا وسلطاني (١٣٩٣) في ضوء علم المقامية أبعاداً من الأدب في بعض الأدعية الشيعية، لكن لم يعالج أحد استراتيجيات مراعاة الأدب في الصّحيفة وبشكل مستقل.

### ٣. الإطار النظري

#### ٣-١. نظرية الأدب

قدّم المنظّرون والباحثون طوال العقود الماضية مبادئ ونظريات عديدة حول الأدب. إن نظرية الأدب (التهذيب/المدارة) تستخدم لوصف كيفية استخدام اللغة ككلام مهذبٍ لطيف بعيد عن الوقح والبشاعة (Watts, 2004: xi). أهمّ نظرية للأدب هو ما ألف وفقاً لمبدأ التعاون في المحادثة المقدمة من قبل هربرت بول جرايس في نظريته عن المعنى؛ ثمّ قد ساهم براون ولوينسون (Vide Brown and Levinson, 1987) في تأليف نظرية عالمية دون أن تبقى حكراً على مجتمع بعينه كما يعتقد البعض (غضنفری، ١٣٨٧) وكما زعم براون ولوينسون أيضاً أنّ هذه النظرية عالميّة شاملة قابلة للاستعمال في ثقافات ولغات متنوعة؛ (watts, 2004: 12) لكن الاعتقاد بشمولية هذه النظرية يخالجه الشك لأن استراتيجيات مراعاة الأدب تختلف من مجتمع إلى آخر وثقافة إلى أخرى. هذه النظرية عبارة عن المهارات الاجتماعية التي تهدف إلى ضمان اطمئنان الجميع أثناء التفاعل الاجتماعي لتخفيف حدة المواجهة مع الآخرين أي نحاول أن نحفظ ماء وجهنا ووجه من نتحدث إليه. إنّ مراعاة استراتيجيات الأدب (Politeness) كإحدى القضايا المتعلقة بالتداوليات أو علم المقامية/السياقية (Pragmatics) تحظى بدور هامّ في عقد التواصل الفعال في المجتمع؛ كما لها أهمية خاصة في الأحكام الدينية ولا سيّما في الدعاء والمناجاة. إن الدراسات الثقافية المقارنة

تشير إلى أنّ مفاهيم ومبادئ تعاون المحادثة كالطلب غير المباشر، والتأدب، و... هي مفاهيم ومبادئ عالمية. لكن هذه المبادئ استراتيجيات تختلف في الكلام من بلد إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى ومن لغة إلى لغة (brown, levinson, 1987 & Blumkulka, 1983) ومبدأ البيان غير المباشر لا يختلف كثيراً عن مبدأ التأدب ويعتبر البيان غير المباشر في الاثنوبولوجيا ثقافة خاصة ولغة خاصة ويفسره الاثنوبولوجيون كظاهرة ثقافية تكمن جذورها في لغة الشخص وثقافته (Leving, 1985؛ Hall, 1976؛ Gumperz, 1982؛ Gudykunst, Kim 1997).

### ٢-٣. الوجه

الوجه هو البعد العاطفي أو الاجتماعي الذي يتمتع به الشخص والذي يحاول الفرد حمايته ويرجو أن يعترف به الآخرون (Yule, 1996: 60) كما يقول ارفنج جوفمان (Erving, Goffman, ١٩٦٧) وجه الشخص هو أكبر ممتلكاته ويسعى كل شخص من أجل حفظ وجهه أن يتعد عن القيام بالأعمال أو التصرفات التي تهدد وجهه في المجتمع وأن يعيش وفقاً لذلك الوجه وأن يقدم نموذجاً سلوكياً من شأنه أن يظهر بأن السلوك الظاهر مطابق لوجهه وأن يعمل كل مشارك في التواصل على معرفة مكانه والمحافظة عليه. لكل من المتكلم والسامع وجهان: الوجه الإيجابي، والوجه السلبي (فخر روحاني، ١٣٨٢: ٢). ومفهوم الوجه السلبي والإيجابي متعارف عالمياً في الثقافة البشرية. الوجه الإيجابي (Positive face) هو رغبة الشخص في أن يُقبلَ من قبل الآخرين وأن يقبل رأيه وطلبه وأن يكون محبوباً، صادقاً ذا علاقة إيجابية مع الآخرين وأن لا يتجاهل (Kardar, Haugh, 2013)؛ (Brown, levinson, 1987: 61) أما الوجه السلبي (Negative Face) فهو رغبة الفرد في أن لا يجبر على شيء، وأن يحفظ حرته في التصرف ومكانته الاجتماعية (Haugh, 2010: 292). وفقاً لنظرية براون ولوينسون، أحد أسباب مراعاة الأدب واستعمال العبارات هو الابتعاد عن إنجاز الأعمال والتصرفات التي يعتبرها مشوهة للوجه (فخر روحاني، ١٣٨٢: ٢).

### ٣-٣. لغة غير مباشرة

التواصل فهم واحترام متبادل لآراء ووجهات نظر الآخر، بغض النظر عن توفر عناصر الاتفاق أو المحبة. التواصل اللغوي لا يتم فقط بالاستناد إلى الكفاءة اللغوية، وإنما هناك جملة من الشروط غير

اللغوية التي تتدخل في تحديد الأداء اللغوي، واحدة منها هي التأدب أو مراعاة الأدب من جانب المتكلم (الذي يتحدث). العلاقة إما رسمية وإما غير رسمية أو علاقة حميمة وغير حميمة أو غير ذلك من مستويات اللغة. والعلاقة الرسمية تدخل فيها صيغ التبجيل حفظاً للحوار في إطار رسمي. أما الاستعمالات غير الرسمية والحميمة فتتخلص من هذه القيود جميعاً. في العلاقات الرسمية يستخدم الشخص لغة غير مباشرة؛ أي أنه يظهر احتراماً وتأدباً كثيرين؛ على سبيل المثال انه يستخدم أساليب ومناهج أكثر تأدباً من أجل خطاب الآخرين مستعملاً الأفعال الكلامية (Act Speech) المهذبة الخاصة كمن فضلك، عفواً، آسف، شكراً، و كثيراً من الألفاظ التي تدلّ على الأدب (واتس، ٢٠٠٣: ٢). يعتبر يانك (Yankah, 1995: 45) البيان غير المباشر كاستراتيجية متداولة للتحكم على قدرة وتأثير الكلمة أو الكلام في المحادثة والسيطرة عليه. يعتبر آبنج (Obeng, 1994: 42) البيان غير المباشر استراتيجية في التواصل يوائم المتكلم (الذي يتحدث) فيها بين تصريحاته اللغوية وحماية الوجه ومراعاة الأدب. إنّ هذه التعاريف تشير إلى أن المتكلم يستخدم البيان غير المباشر ويجعله ملجأً له ليتعد عن البيان المباشر الحرفي الذي يمكن أن يؤدي إلى استياء المتلقي أو حزنه أو استحيائه؛ ولغلا يشوّه وجهه هو ووجه المخاطب.

#### ٤-٣. آداب الدعاء في الإسلام

إنّ في الإسلام للدعاء آداباً مشروعة، وشروطاً مفروضة، والداعي يكون في مقام الخطاب والمناجاة مع الله تعالى (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٤٨). ول«يبدأ الدعاء بالثناء على المعبود، وتقديسه، وتنزيهه» (الطرطوشي، ١٩٩٨: ٤٥) وبالصلاة على النبي (ص) لأنّ الصلاة على رسول الله، من نوافل الركن الأول من أركان الإسلام، ويستحب في مقام الدعاء التوسل بمحمد وآله (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٦٤). ويقول النبي الأكرم: «صلاؤكم عليّ إجابة لدعائكم» (الكليني، ١٣٦٩، ج ٤: ٢٣٨) كما يقول علي بن أبي طالب (ع): «كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلّي على محمد وعلى آل محمد» (المجلسي، ١٣٨٤ق، ج ٩٠: ٣١١) ومن آداب الداعي «أن يكون راغباً، راهباً، خاشعاً» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٧) وكما يقول الله تعالى «ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين»؛ (الأنبياء/ ٩٠) ليقترن الدعاء بالخوف والرجاء؛ «وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً» (الأعراف/ ٥٦) و«أن ينسب النعم والخيرات إلى الله دون أضدادها جرياً على منهاج الآداب التنزيلية» (المدني الشيرازي، ١١٢٠، ج ١:

٢٨٢) وأن يهتم الداعي بالمصالح العامة للعباد، منجزاً ما يقوله النبي الأكرم (ص) «إذا دعا أحدكم فليعمّ فإنه أوجب للدعاء.» (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٦٧) سائلاً للمؤمنين «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (نجد / ١٩) ولئلا يدعو لنفسه فقط؛ وأن يَقْوِي رَجَاءَهُ فِي مَوْلَاهُ؛ «ولا يقنط من رحمة الله» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٩) ملتزماً بقوله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (زمر/ ٥٣)، ويقول النبي الأكرم (ص): أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة (المجلسي، ١٣٨٤، ج ٩٠: ٣٠٥) و«أن يسأل بعزم، وجدّ وحزم» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٨).

#### ٤. استراتيجيات الأدب في الصحيفة

##### ١-٤. بيان غير مباشر

للبيان غير المباشر دور هامّ في النظام اللغوي وعقد التواصل الناجح وجلب الانتباه والهرب من عواقب التحدث. يعتقد جرايس (Grice, 1975) أنّ لاستخدام اللغة المكتوبة دوراً هاماً في العلاقات ولغة التواصل اليومية؛ يقول الإمام في الدعاء الثامن والأربعين: «أعوذ بك اللهم اليوم من غضبك»؛ بدلاً أن يقول: «أعذني...» كما نشهد في الدعاء نفسه سائلاً المولى عزّ وجلّ بشكل غير مباشر ويقول: «اللهم ليس يردّ غضبك إلا حلمك ولا يردّ سخطك إلا عفوك ولا يجير من عقابك إلا رحمتك ولا يُنجيني منك إلا التضرُّع إليك وبين يديك»؛ بدلاً أن يقول: اللهم رُدّ غضبك عليّ، أعف عني أجري ونجني. وهذا هو أحد أساليب مراعاة الأدب.

##### ١-١-٤. وصف المخاطب عبر التقرير

في معظم الأدعية يذكر الإمام السجاد سمات الله في أسلوب المنادى؛ ولكنه قد يصفه عبر التقرير؛ كما يقول في الدعاء الثاني عشر: «فإنك ملئ بالعمو، مرجو للمغفرة، معروف بالتجاوز، ليس لحاجتي مطلب سواك، ولا ليدني غافراً غيرك، حاشاك...» ويلجأ إلى التقرير لابتعاد عن الأمر والطلب كما يقول في دعائه في الصلوة على أتباع الرسل ومصديقهم: «وئهِونُ عَلَيْهِمْ كُلِّ كَرِبٍ... وُتَعَاثِيهِمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْدُورَاتِهَا»؛ تعرّضاً لطلب العفو، والغفران، والتوبة وتحويل الكروب، والمصائب، والهموم وفي أسلوب تقرير لابتعاد عن التصريح والطلب المباشر.

## ٢-١-٤. لَفُّ الطَّلَبِ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ

ويقترن في أدعيته ذكر الحاجة بإظهار العبودية ولاسيما في "اللَّهُمَّ" و«يا رَبِّ». فما دام الدعاء هو محاورة انفرادية لله تعالى، فحينئذ يظل أولى سماته هي الخطابية؛ من نحو عبارة: «اللَّهُمَّ» أو «إلهي» وسواهما؛ حيث تستدعي مثل هذه العبارات حمداً أو ثناءً بالضرورة. كما يظل البناء الفني للصحيفة السجادية مطبوعاً لسمات: أولاها أن يقترن الدعاء بالتحميد لله تعالى: «تعالى ذكرك عن المذكورين؛ تبارك اسمك وتعاليت، لا إله إلا أنت العليّ...» ذكراً صفات الله: «أنت الأول والآخِرُ، والقادر والعلام...» بادئاً بتوحيد الله قبل الدعاء وتحميده عزَّ وجلَّ والثناء عليه اقتداءً بكتاب الله تعالى وعملاً بما اشتهر من رسول الله (ص)؛ وامير المؤمنين، وأبي عبدالله، وذو النون: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (الأنبياء/ ٨٧) إذ يناديه بالتوحيد، ثم ينزّهه عن النقائص والظلم بالتسبيح... لأنّ من آداب الدعاء «أن يبدأ بالثناء على المعبود، وتقديسه، وتنزيهه...» (الطروش، ١٩٨٨: ٤٥).

## ٣-١-٤. وصف المخاطب عبر المقارنة

إحدى الطّرق التي يستخدمها الإمام زين العابدين للتعبير عن حاجته أنه يعزو سمة جيدة إلى الله، وسمة متضادة لنفسه عن طريق المقارنة ليراعي الأدب مستلفتاً انتباه المخاطب إلى الاستجابة؛ كما يقول في الدعاء الثامن والعشرين: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد، وملكُة القدرة الصّمد، وفضيلة الحول والقوة، ودرجة العُلُوِّ والرّفعة. ومَن سِوَاكَ مرحومٌ في عُمره، مغلوبٌ على أمره، مقهور على شأنه، مختلفُ الحالات، مُتَنَقِّلٌ في الصِّفَاتِ...»

## ٢-٤. الأدب السّلي

ومن طرق التّعبير عن الرغبة في تطبيق استراتيجية الأدب السّلي (الرسمي) أن يعتبر الشخص موقفه ومكانته أقل من المخاطب ويستخدم أدوات تعديلية. إنّ شكل الفعل وبنيته هو أحد الأدوات التعديلية التي يمكن استخدامها كعامل للحيلولة دون تشويه وجه المخاطب؛ كما يفعل الإمام في الصحيفة مسخدماً أفعالاً ك: "مَنْ"، «اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بِنِقَاءِ وُلْدِي»؛ و«كثرتنا بمنّه على من قل...» و"أسأل": «فأسأل الله... أن يجعلك هلال بركة»؛ و"إن تشأ" ك: «إن تشأ تعف عنا بفضلك»، وغيرها من الأفعال والكلمات كأدوات تعديلية. كما يقول في دعائه إذا مرض أو نزل



به كرب أو بلية: «إنك المتفضل بالإحسان، المتطول بالامتنان» معتبراً إحسان الله وامتنانه تفضلاً وتطولاً مستخدماً مفردات ك الله والرب و... بدلاً عن الضمير لأن استعمال الضمير في هذه المجالات مما يهدد المكانة الرسمية للمخاطب ويهدد الوجه.

### ٣-٤. إسناد السمات الحميدة إلى المعبود

إنّ استخدام الأسماء المشتقة التي تحمل في طياتها الصفات الإلهية منهج آخر لمراعاة استراتيجيات الأدب في المناجاة، لأنّ في «المنهج بدلاً عن الجملة، تتم عملية التسمية، وهذه العملية مما تزيل بعض المعلومات ولاسيما الزمان منها لتناسب سمة ثابتة مستمرة إلى الله»: إنك الفاضل المتفضل بالإحسان المتطول بالامتنان (الدعاء ١٥) يا فارح الهم، وكاشف الغم (الدعاء ٥٤)، يا خالق كل مخلوق، ووارث كل شيء، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد، الكريم المتكرم... (الدعاء ٤٧) ويا أرحم من انتابه المسترحمون... (الدعاء ١٢). ومن الأساليب المستخدمة في الصحيفة استخدام الصفة المشبهة التي توجد وبأوزان مختلفة في أكثر الأدعية؛ والتي تدل على ثبوت الصفة لذات الله مما يهدف في البعد الزمني لتدل على الاستمرار. نلاحظ في الصحيفة أيضاً أداة المنادى إلى جانب "من" الموصولية والصلة إما فعلية وإما اسمية؛ والأسمية منها مما تدل على اعتقاد المتحدث أو الداعي بثبوت الصفة في الموصوف (مقدسي نيا، وسلطاني، ١٣٩٣: ٢١٨) ودلالة تلك السمة على الموصوف على وجه الثبوت. «يا من رحمته واسعة وعفوه عظيم» (الدعاء ٤٨) «يا من ذكره شرف للذاكرين» (الدعاء ١١) «يا من عنده نيل الطلبات» (الدعاء ١٣) في أدعية الإمام السجاد (ع) نشاهد استخدام الأفعال المضارعة في الصلة أكثر من الماضي منها: «يا من يرحم من لا يرحمه العباد، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد، ويا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه...» (الدعاء ٤٦) وهذا الأسلوب (من + الفعل المضارع) تكرر في الدعاء المذكور ١١ مرة. وهذا الأسلوب يدل على حادث يتجدد ويحدث لحظة بعد لحظة (مقدسي نيا وسلطاني، ١٣٩٣: ٢١٩) وإسناد سمة حميدة إلى الله بشكل متجدد تحدث لحظه بعد لحظة نوع من استراتيجيات الأدب.

### ٤-٤. تلطيف الأجواء

هناك طرق عدّة لتلطيف الأمر والتخفيف من حدته وقد يلجأ الإمام لتلطيف الأمر إلى وصف

الله، ثم يذكر حالته النفسية والروحية وما يكابده من الآلام ثم يعبر عن رغباته الخاصة، ذاكراً نتيجة عدم الاستجابة؛ كما فَعَلَ في الدعاء العاشر. ومنها تعريف المسند بلام الجنس لإفادة القصر؛ كقوله: «أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع في الملمات...» (الدعاء ٧) وتعريف المسند هنا يفيد القصر؛ إذ ليس غيره تعالى مدعواً للمهمات ولا مفزعاً للملمات (المدني الشيرازي، ١٤١١، ج ٢، ٣١٣). وإن دعى غيره فهو جهل أو شرك، لأن الله يقول: ﴿إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنعام / ٤٠).

ومن أساليب تقليص درجة الأمر وحدته هو استخدام باب الاستفعال في عرض الحاجة كما قد لجأ الإمام في الدعاء الثامن والأربعين ولعشر مرات إلى هذا المنهج مستخدماً أفعالاً كأَسْتَنْصِرُكَ، وَأَسْتَرْجِمُكَ، وَأَسْتَكْفِيكَ، وَأَسْتَرْزُقُكَ، وَأَسْتَعِينُكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ، وَأَسْتَعِصِمُكَ، وَأَسْتَجِيرُ بِكَ، وَأَسْتَهْدِيكَ بدلاً عن أَنْصُرْنِي، وَأَرْجِمْنِي، وَأَرْزُقْنِي، وَأَعِثِّي، واغفر لي و... الأمرية سائلاً طلبه بشكل غير مباشر منتهياً الدعاء باستجيب.

ومن مناهج تلطيف الأمر في الصّحيفة ما نجده في الدّعاء الأربعين الذي يستخدم فيه الإمام الضماير وصيغ المتكلم للجمع بدلاً عن المتكلم قائلاً: «اللَّهُمَّ... أَكْفِنَا طَوْلَ الْأَمَلِ وَقَصِّرْهُ عَنَّا... وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَآمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ، وَأَنْصَبِ الْمَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصَبًا، وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غَيْبًا وَاجْعَلْ لَنَا...» وإن استعمال صيغ الجمع في طلب العُفْران مما يسند اعتراف الذنب إلى الجماعة، مشيراً إلى أننا جميعاً مذنبون أمام كبرياء الله وجبروته؛ ونحتاج إلى مغفرته، وهذا المعنى لا يستفاد من صيغ المتكلم (للمفرد).

ومنها تقديم الطلب في أسلوب الاستفهام كما يفعل الإمام في الدعاء السادس عشر: «هَلْ أَنْتَ يَا إِلَهِي رَاحِمٌ مَنْ دَعَاكَ فَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ؟ أَمْ أَنْتَ عَافٍ لِمَنْ بَكَكَ فَأَسْرَعَ فِي الْبُكَاءِ؟» كما يقول في دعائه في الاعتراف: «فهل ينفعني يا إلهي إقرارني عندك بسوء ما اكتسبت؟» إن اعتراف الإمام باستعظام سوء ما اكتسبه الشخص وقبح ما ارتكبه كأنه شك هل هو داخل في الذنوب التي ينفع فيها الإقرار وينجي منها الاعتراف أم هو أعظم من ذلك؛ و في استفهام هذه الجمل نوع من الإقرار بالذنب والاعتراف بالمعصية مما يكمن فيه نوع من الأدب ما ينفع وينجي. كما جاء في الدعاء الثاني والخمسين: «كيف ينجو منك من لا مذهب له في غير مُلكك؟ فكيف نطبق حمده أم متى نؤدّي شكره؟ لا، متى؟». وإنه عليه السلام لما أورد الاستفهام على سبيل

الإنكار المتضمن للنفي، أراد التصريح بالنفي؛ كما أراد أن يكون الإقرار بالعجز عن تأدية الشكر صريحاً متأكداً. واستخدام أسلوب الاستفهام والخبر بدلاً عن الأمر والطلب، منهج في تقديم الطلب بشكل غير مباشر وغير حربي؛ وهذا هو أقرب إلى الأدب إضافة إلى أنه يشجع المخاطب على الاستجابة.

#### ٥-٤. إظهار علاقة العبد والعبودية

يذكر وارن راثلين في مقاله عن استخدام استراتيجيات مراعاة الأدب في الكتاب المقدس ومقارنتها باللغات الإفريقية، الكلمات التي تدلّ على علاقة العبد والمعبود في الكتاب المقدس (Wide. Warren. Rothlin, 2007) قائلاً إنّ في هذه النصوص يُعتبر الله سيّداً وربّاً، وفي الوقت نفسه، يتذكر الفرد نفسه بأنّه «عبد وخادم» ليقلّل من شأنه ومكانته تجاه عظمة الله وجبروته. وفي هذا الإطار حينما يقول شخص: «يا سيّدي، يا ربّي و...» فيه افتراض سابق، وهو: أنّني عبد وأنّ سيّد. إنّ الإمام السجاد (ع) كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب؛ على سبيل المثال إنه في الدعاء ٤٩ يستخدم ولمرات عديدة عبارة «يا إلهي / ويا مولاي» كما يستخدم في الدعاء ٥٣ ولأربع مرات عبارة «يا مولاي». يوجد هذا المنهج في أكثر الأدعية في الصحيفة السجادية. ومن هذا الأسلوب ما جاء في دعائه في الرجوع إلى الله تعالى: «ها نحن عبادك بين يديك» وهذا كناية عن أنهم مستعدون لانجاز جميع أنواع إرادته تعالى فيهم كالعبد الذي بين يدي سيده.

#### ٦-٤. السّمات الفنية للمطلع والتمتة

وللبناء الفني عند الإمام السجاد عليه السلام سمات منها «أن يقترن الدعاء بالصلاة على النبي وآله بصفتهم (ع) وسائل للتقرب إلى الله تعالى» (البستاني، ١٤١٣: ٣٦٦). وغالباً ما تبدأ الأدعية فيها بمسألة الصلاة على النبي وآله (ع)؛ لأنّ الصلاة على رسول الله، من نوافل الركن الأوّل من أركان الإسلام، ويستحب في مقام الدعاء التوسل بمحمد وآله (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٦٤). والابتداء بالصلوة على النبي يكاد يصبح أسلوباً خاصاً للإمام السّجاد في تلطيف الأمر والتعرض للطلب إضافة إلى أنه منهج يعدّه المعصومون ضرورياً لاستجابة الدّعاء ومنها ما نشاهده في الدّعاء الثّاني عشر: "اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ"؛ والدعاء السابع

عشر: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاشْغَلْهُ عَنَّا بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ"؛ وعبارة "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ" مما تكرر ١٩ مرة في الدعاء العشرين. بين ٣٥ من الأدعية الأولى في الصحيفة السجادية، يبدأ ١٢ منها بالصلاة على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ ٧ منها بحمد الله وثنائه، ٤ منها مع وصف المتكلم نفسه عبر آلية المقارنة؛ و ٢ منها مع التعبير عن الرغبات والمطالب بشكل مباشر. وبين ٣٥ من الأدعية، بدأ ٢٩ منها بالحمد وذكر سمات الله والصلاة على النبي ومن أصل ٥٤ من أدعية الصحيفة، ينتهي ٣٩ منها بذكر صفات الله تعالى، ٨ منها بالصلاة وتنتهي الأدعية الأخرى منها بعبارات أخرى كوصف أولياء الله المخلصين بالخاصة الخاصين لدى الله، للتخصيص أو المدح لما فيه من الإشارة إلى الاعتناء بهم؛ أو يُختم الدعاء بـ "يا أرحم... توقعا لحصول المطلب واستعطافاً بوصفه الدال على أنه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود إليه. وهذه الطرق تدل على أحد أبعاد استراتيجيات مراعاة الأدب في الصحيفة السجادية.

#### ٧-٤. الشعور بالخوف وعدم الطلب من غير الله

وكل هذه الأدعية مما أجرى الله تعالى على لسان قائلها (ع) حينما كان يخلو به - سبحانه - ويذكره (الجزائري، ١٩٩٧: ٢٥). والصحيفة ذات أسلوب إيجائي بالغ، وكان الداعي يرى أمامه الهوة العميقة والعذاب الشديد الذي ينتظره عند الجنوح. كما نراه يقول في دعائه في الاعتراف وطلب التوبة: «دَعَاكَ بِصَوْتِ حَائِلٍ خَفِيٍّ»، واصفاً الصَّوْتِ بِالْحَيْلُولَةِ وَالْخَفَاءِ لِمَا اعْتَرَاهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيَاءِ؛ فَإِنَّ الْخَائِفَ وَالْمُسْتَحْيَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَغَيَّرَ صَوْتُهُ وَيَخْفِيَ كَلَامُهُ لضعف نفسه وانقباضها... والاعتقاد بالإشراف الإلهي المستمر مما أحدث تغييراً جذرياً في محادثة الإمام وتواصله الكلامي مع الله؛ حيث نراه ما يزال يذكر الله ويعوذ ويستجير به، لأنَّ من آداب الداعي «أن يكون راغباً، راهباً، متذللاً، خاشعاً» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٧) ويقترن الدعاء بالخوف والرجاء. كما يصون الإمام وجهه عن الطلب من غير الله، قائلاً في دعائه في يوم عرفة: «وَصُنَّ وَجْهِي عَنِ الْطَلْبِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» ويتمثل فيه صيانة وجهه عن الطلب من الآخرين «لما في السؤال من الدَّلِّ والدَّيْتَةِ وامْتِهَانِ النَّفْسِ مَعَ كِرَاهِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلْمَسْئَلَةِ مِنْهُمْ» (الحسيني، ١٣٩٨: ٢٣٧).

## ٨-٤. وصف النفس والإذلال

من وجهة نظر براون ولوينسون يعدُّ الاعتذار تدميراً لوجه المتكلم ويريق ماء وجهه (vide. Brown and Levinson, 1987) لكن يختلف الأمر في الدعاء، وعلى العكس، كلما يحتقر الداعي نفسه أكثر فأكثر أمام الله سبحانه، يزداد كلامه أدباً. نراه في الدعاء "إذا حزنه أمر وأهمته الخطايا" يقول: «فإني عبدك المسكين المستكين الضعيف الضَّير»؛ كما نراه يقول في دعائه في يوم عرفة: «وسألتك مسألة الحقيير الذليل البائس الفقير الخائف المستجير... وأنا بعد أقلّ الأقلين، وأذلّ الأذلين...» (الدعاء ٤٧)، ونراه عبر اظهار الفقر المطلق للعباد والمخلوقات، يعظّم حاجاتهم الماسة الدائمة إلى الله إلى جانب اعتبار نفسه والعباد مذنبين، مسيئين.

إحدى الطرق التي استخدمها الإمام السجاد (ع) في الصحيفة لإذلال نفسه، هو أسلوب "أنا + الذي، و أنا + النعت" مما أعيد ولمرات عديدة في الدعاء السابع والأربعين: «أنا الذي أقدم عليك مجترئاً، أنا الذي عصاك متعمداً... أنا الجاني على نفسي، أنا المرهق بليتي، أنا القليل الحياء، أنا الطويل العناء...» مما يدل على منتهى أدب الإمام أمام الله تعالى.

## ٩-٤. ملازمة التضرع والاستغفار، والإقرار بالذنوب

يكمن في التضرع والاستغفار نوع من الاجتناب عن تبرير التصرفات والأعمال؛ واعتبار النفس مذنبه تجاه جلاله الرب وكبرياته؛ يقول الإمام في الدعاء الواحد والثلاثين: «اللهم فارحم وحدتي بين يديك، ووجيب قلبي من خشيتك واضطراب أركاني من هيبتك، فقد أقامني يا رب ذنوبي مقام الخزي بفنائك...» وقد أرشد عليه السلام بهذه الفقرات إلى أن من الواجب على المذنب دوام الانكسار وملازمة التضرع والاستغفار، واستشعار الوجع إلى الأجل، كمذنب تائب مستح سيطر الخوف عليه، فيأتي مولاه خزيان منكسراً (المدني الشيرازي، ١٤١١، ج ٤، ٤٥٦). ومنه الإعادة بالله: كما يقول في الدعاء ٣٠: «أعوذ بك يا رب من همّ الدين...» وأدعية أخرى ومنها: ٣١، ٣٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩ و ٥١ نموذجاً. وهذا مما يعتبر في التواصل اليومي ووفقاً لنظرية الأدب التي يعتبرها براون ولوينسون تهديداً لوجه المتكلم؛ لكن هذه الطريقة في المناجاة ليست مهددة للوجه فحسب، بل يكمن فيها منتهى الحكمة والأدب.

## ١٠-٤. انتساب الخير إلى الله

لا يُسْنَدُ النَّقْصَ إليه سبحانه مع التصريح بإسناد ضده يعني الزيادة إلى الله تعالى تأدباً معه جلّ شأنه «وتشبيهاً لمعالم وجوده وكرمه حتى كأن الصّادر عنه تعالى هو الزيادة لا غير، وإنّ النقص صادر عن غيره جرياً على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه عزّ وجلّ دون أضدادها» (المدني الشيرازي، ١١٢٠، ج ١: ٢٨٢) ومن أمثلة ذلك هو ما جاء في الدعاء الأول: «لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد». نراه ملتفتاً إلى عنايات الله؛ منزهاً الله سبحانه عما لا يليق بفضله وكرمه وسعة رحمته؛ منتسباً الخير إليه كما فعل في دعائه في تحميد الله عزّ وجلّ: والحمد لله الذي... أجرى علينا طيبات الرزق. كما جاء في نفس الدعاء: «وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة». وجاء في دعائه في الصباح والمساء: «أصبحت الأشياء بجملتها لك.. وما علا في الهواء وما كنّ تحت الثرى». ومنها إضافة البركات إليه تعالى باعتبار أن البركة ناشئة من الله تعالى وكائنة بإعطائه (الدعاء ٢٣ والدعاء ٢٤) كما نراه ينسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله.

## ١١-٤. الابتعاد عن الأهداف الدنيوية

يبتعد الإمام في الأعم الأغلب عن السؤال حول الأمور الدنيوية، ملتزماً بوصية علي بن أبي طالب للإمام الحسن (ع): «ولتكن مسألتك فيما يعينك مما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له...» (المجلسي، ١٣٨٤ق، ج ٧٤: ٢٢٤). قائلاً في دعائه في الصلوة على أتباع الرّسل: «اللهم وأصحاب محمد... ومن كانوا مُنطَوِّينَ عَلَيَّ مُحَبِّبِيهِ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ...» أي يرجون تجارة ليست كسائر التجارات الدائرة بين الريح والخسران؛ بل يطلب تجارة لا بوار فيها؛ مستعيراً لفظ التجارة للثواب الأخروي غير المادي. كما يقول في دعائه لولده: واجعلني... من الرّاجحين في التجارة لديكم. ويستدعي فيها متاع الآخرة والعبادة وامتنال أوامر الله عوضاً عن متاع الدنيا وفي تفضيل الآخرة والعبادة والأمتاع الأخروية على الدنيوية المادية منها نوع من الأدب. وتكون مضامين طلبه في العيان واليقين، والحقّ والباطل، والشريعة والأحكام، والهدى والصلال، والصلاة والصيام، والحجّ والعمرة، والإسلام والمذاهب؛ والصلاح والإصلاح والتربية، والعزة والشرف، والشّماتة والتواضع، والحمد والصبر، والخير والشّر، والتّقوى ورضى الله، والحسنات والتّيات، والاستغفار، والعصمة والعبادة، والفرج، والاستخارة والدّكر، واللطف الإلهي، والدعوة

والجهاد، والعبودية لله... وهذه هي المضامين التي تتمثل فيها المطالب العالية والأهداف الراقية الإلهية المنشودة؛ بعيدة عن معالجة الأمور الدنيوية، جارية مجرى الأدب.

#### ١٢-٤. عدم الوقوف عندما لا يعلم

لا يسأل الإمام عما ليس له علم به ولا يتجاوز ما لا يعرف ولا يسأل الله ما ليس متأكداً بخبره أو شره، فلا يعبر عن شيء إلا ما يؤمن به. كما يقول في الدعاء الثامن: «... أو نقول في العلم بغير علم...» منجزاً لما قال الله تعالى لنبيه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ (الإسراء / ٣٦). ويقول في دعائه: «واهدني للتي هي أقوم»؛ أي الخصلة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الخصال أو الطرق أي أعدلها؛ وفي حذف الموصوف فخامة وبلاغة لا توجد مع الإثبات لما في إبهام الموصوف بحذفه من التعميم كما فيه أيضاً الابتعاد عن القيام بالطلب من الله ما ليس لنا به علم.

#### ١٣-٤. منتهى الاهتمام بالله والاستسلام له

حينما يقول الإمام (ع) في الدعاء الثاني عشر: «فها أنا ذا يا إلهي واقف بباب عزك وقوف المستسلم...»؛ يُصدر الجملة بحرف التثنية من أجل كمال العناية والاهتمام والوقوف بباب عزِّه تعالى كنايةً عن الالتجاء إليه والانقياد له. ومن آداب التحدث والتواصل الكلامي هو الإصغاء والاستماع وأن يسمح المتكلم للمخاطب أن يتحدث؛ والاستماع في التعاليم الدينية أكثر قيمة من التحدث، وأنواع التناصت والإشارات القرآنية الوافرة في الصحيفه مما تمكن أن تندرج في هذا المجال.

#### ١٤-٤. الاهتمام بمصالح العباد

ونراه يهتم بالمصالح العامة للعباد، ناسياً المصالح الفردية الدنيوية طالباً هداية الشعب كهدف إلهي منشود؛ منجزاً ما يقوله النبي الأكرم (ص) «إذا دعا أحدكم فليعمّ فانه أوجب للدعاء» (المدني التبريزي، ١٤٢٦: ٦٧). سائلاً للمؤمنين مع نفسه كما قال سبحانه: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (تجّد / ١٩) ولقلاً يدعو لنفسه فقط؛ يقول الإمام الصادق (ع): «من قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه» (مجلسي، ١٣٨٤ق، ج ٩٠: ٣٨٣). ويصرّح في طلب العفو والرحمة ولكن في الحاجات الدنيوية يلجأ إلى الكناية ويمتنع عن التصريح.

## ١٥-٤. الإحالة إلى المشيئة والإلحاح في الاستغفار

ومّا يوصّل الأدب إلى ذروته في هذه الأدعية هو أنه يحيل القضية إلى المشيئة الإلهية ومنها: «إن تعذّب فأنا الظالم المفرط... وإن تغفر فأنت أرحم الراحمين» (الدعاء الحادي والخمسون)؛ معرباً عن حالته فحسب، دون أن يتفوّه بما يؤوّل بأنه ينوي توجيه الله إلى الاستجابة على الطلب، ليعترف أن الله هو المميّز في الاستجابة أو عدمها. ويشتاق إلى طلب المغفرة من الله ملحاً في الدعاء لأنّ من آداب الدعاء أن يُقوّي الداعي رجاءه في مولاه؛ «ولا يقنط من رحمة الله، وإن تأخرت الإجابة، فلا يستبطئ ما سأل، فإن لكل شيء أجلاً» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٩). وتوجد نماذج عديدة من الرجاء والاشتياق في الصّحيفة ولاسيّما في الدعاء العاشر فنراه يقول: «إن تشأّ نَعْفَ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ وإن تشأّ نُعَدِّبْنَا فَبِعَدْلِكَ» (الدعاء ١٠) مقدّماً رجاء المغفرة على التعذيب للإيدان بسبق رحمته غضبه؛ معتقداً بسهولة الاستجابة؛ ملتزماً بقوله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (زمر/ ٥٣) ومن آداب الدعاء «أن نسأل بعزم، وجدّ وحزم» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٤٨) لأن الله لا يتعاضمه شيء؛ ومن نماذج الإلحاح: «اللهم صلّ على محمد وآله وألبسني عافيتك، وجللني عافيتك، وخصّصني بعافيتك، وأكرمني بعافيتك، وأغنني بعافيتك، وتصدق عليّ بعافيتك، وهب لي بعافيتك، وأفرّشني بعافيتك، وأصلح لي عافيتك، ولا تفرق بيني وبين عافيتك في الدنيا والآخرة» (الدعاء الثالث والعشرون). وانما يكرر كلمة العافية بسؤالها بأنواع الطلب، واضعاً الظاهر محل المضمّر، من أجل مزيد من العناية والاهتمام بشأنها، وقرعاً لباب الإلحاح والإصرار في الدعاء. وقال رسول الله (ص) حين يلح العبد في الدعاء « فيقول الله لملائكته: أبني عبدي أن يدعو غيري، وقد استجبت له» (الطرطوشي، ١٩٨٨: ٥٠).

## ٥. النتيجة

□ إنّ من أهمّ الفروق اللغوية الكامنة بين كلام الإمام السجاد (ع) والأناس العاديين هو أنّهم في أغلب الأحيان يعربون عن المطالب والحوائح بأسلوب مهذب، لكنهم قد يتغافلون عن استراتيجيات الأدب ولاسيّما في مقام الفكاهة، والكناية، والتعريض مما لا مثيل لها في الصّحيفة.

□ يبدأ الدعاء عند الإمام بالتحميد والثناء، ملتجئاً إلى التعميم، مهتماً بالمصالح العامة للعباد؛ مظهراً فقرهم إلى الله مشتاقاً إلى طلب المغفرة؛ عازماً في السؤال ملحاً؛ مبتعداً في أسئلته عن



الأمر الدينوي؛ خائفاً، مستحياً؛ عازياً الخيرات بأجمعها إلى الله؛ صائناً وجهه عن الطلب من غير الله؛ في كمال العناية بالله والاهتمام به، بادئاً الدعاء باسم الله؛ خائفاً بذكره أو بالصلاة أو ما يحسن الخاتمة؛ دون أن يسأل محزماً أو ما ليس به علم.

□ استلهم لغته من الوحي الإلهي، جعل له لغة تواصل خاصة بلغت ذروتها في مراعاة استراتيجيات الأدب لتصبح أسوة في الأدب ولغة ذات استراتيجية مثالية منشودة.

□ التعرض للطلب دون التصريح به، استخدام أسلوب الاستفهام والتقريب بدلاً عن الأمر والنهي، وذكر صفات الله وسماته، ولفُّ الطلب في مجموعة متناسقة من الصفات الإلهية، ووصف حالته النفسية وما يكابده من الهموم والأحزان، خلقت له أسلوباً ذات سمات فنية خاصة في مراعاة الأدب في المناجاة، وتطرح الصحيفة بدورها ظواهر مختلفة مع تركيزها على التواصل مع الله تعالى ويُعدُّ الإمام السجاد (ع) متفرداً في توقُّره على صياغة الدعاء ويكون له حق التعليم في الإملاء و كيفية المكاملة والمخاطبة وعرض الحوائج على الله تعالى.

□ إنَّ الإمام قد استخدم استراتيجيات تحقير النفس وتكبير الآخرين كأسلوب في مراعاة الأدب.

## المصادر

### (١) الكتب العربية والفارسية

القرآن الكريم

الصحيفة السجادية، (١٩٩٧)، شرح وتقديم عز الدين الجزائري، بيروت، الغدير.

البيستاني، محمود، (١٤١٣)، تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، ط ١، مشهد، مجمع البحوث.

-----، (١٣٨١)، مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، طهران، سمت.

الجرجاني، عبدالقاهر، (١٩٧٨)، دلالات الإعجاز، تحقيق السيد محمد رضا، بيروت، دار المعارف للطباعة.

الحسيني، أبو الفضل، (١٣٩٨ق)، قاموس الصحيفة للإمام زين العابدين (ع).

الطرطوشي الأندلسي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، (١٩٨٨م)، الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي اتباعه واجتنابه، تحقيق محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر المعاصر.

كلميني، محمد بن يعقوب، (١٣٦٩)، اصول كافي، طهران، مكتبة علمية إسلامية.

- مجلسي، مُجد باقر، (١٣٨٤ ق)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طهران، دار الكتب الإسلامية.
- محمود، عبدالحليم، (١٩٩٠)، العبادة أحكام وأسرار، القاهرة، دارالكتاب المصري.
- المدني التبريزي، السيد يوسف، (١٤٢٦ ق)، الفوائد القيمة، الطبعة الأولى، قم، دفتر معظم له.
- المدني الشيرازي، السيد علي خان، (١١٢٥ ق)، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، تحقيق: محسن الحسيني الأميني، قم، مؤسسة النشر الاسلامي.
- مغنيه، مُجدجواد. (د. ت)، في ظلال الصّحيفة السجادية، تحقيق سامي الغريزي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة دارالكتاب الاسلامي.
- بول، جرج، (١٣٨٩)، كاربردشناسی زبان؛ ترجمه محمود عموزاده، تهران: سمت.

## (٢) الكتب الانجليزية

- Brown, Penelop, Stephen C. Levinson , (1987) **Politeness: Some Universall in Language Usage**, Cambridge. Cambridge University Press.
- Cook, GuY, (1989), **Discorse, Oxford University press**, Editor: CN Candlin and HG Widdowson, First Edition.
- Goffman, Erving, (1961), **International essay on fase – to – fase behavior**, Doubledy, Newyork.
- Gudykunst, W. B, and Y. Y. Kim, (1997), **Communicating with Strangers: An approach to intercultural communication**, Third edition, New York: McGraw-Hill Companies.
- Gumperz, John, (1982), **Language and social identity**, Cambridge: Cambridge University Press.
- Hall, Edward, (1976), **Beyond culture**, New York: Double Day.
- Levine, David, (1985), **The flight from ambiguity**, Chicago: University of Chicago Press.
- Vatts, Richard. (2004), **Politnss, Cambridae University press**, Cambridge.
- Wardhaugh, Ronald, (2010), **An Introduction to Sociolinguistics**, MA: Blankwell Ltd.
- Yankah, K, (1995), **Speaking for the chief: Okyeame and the Politics of Akan Royal oratory**. Bloomington, india University Press.
- Yule, G, (1996), **Pragmatics**, Oxford, Oxford University Press.

## الدوريات

مقدسی نیا، مهدي وسيد علی اصغر سلطانی، (۱۳۹۳)، «کاربرد شناسی زبان و سازوکارهای ادب ورزی در برخی از ادعیه شیعه»، دوماهنامه جستارهای زبانی، ش ۵. (صص ۲۰۷-۲۲۸)

فخر روحانی، محمدرضا، (۱۳۸۲)، «بررسی زبان‌شناختی نام‌ها و القاب پیامبر در قرآن کریم»، پژوهش‌نامه قرآن و حدیث، ش ۲، صص ۷۱-۷۶.

Blum-Kulka, S, (1983) «Interpreting and performing speech acts in a second language: A cross-cultural study of Hebrew and English». In N. Wolfson and E. Judd (eds. ), **Sociolinguistics and language acquisition**. MA: Newbury House, pp. 36-55.

Obeng, G. S. (1994). « Verbal indirection in Akan Informal Discourse». **Journal of Pragmatics**.

Warren- Rothlin, A. (2007). «Politeness strategies in Biblical Hebrew and west African languages». **Journal of Translation**. 3 (1). pp. 55- 71.

Wierzbicka, A. (1985).« Different cultures, different languages, different speech acts. Polish vs. English.» **Journal of Pragmatics**. Vol. 9. pp. 145- 178.

## بررسی شیوه‌های رعایت ادب در صحیفه سجادیه

حسین تک‌تبار<sup>۱\*</sup>، علی حاجی‌خانی<sup>۲</sup>، مهدی مقدسی‌نیا<sup>۳</sup>

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه قم

۲. دانشیار گروه علوم قرآن و حدیث دانشگاه تربیت مدرس

۳. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه قم

### چکیده

نظریه ادب‌ورزی به عنوان یکی از شاخه‌های کاربردشناسی زبان، مورد توجه بسیاری از محققان و پژوهشگران قرار گرفته و دستاوردهای فراوانی را در پی داشته‌است. در این میان، میراث حضرت امام سجاد (ع) و دعاهای صحیفه سجادیه، به علت برخورداری از معارف اسلامی گوناگون، سبک و مضمون والا و ارزشمند، جایگاه مهمی دارد. علاوه بر آن، تفاوت در جایگاه اجتماعی، سیاسی و دینی افراد، آن‌ها را به سمت شیوه‌ای خاص از سخن گفتن سوق می‌دهد تا به این ترتیب متکلم در کنش زبانی خود به منزلت و وجهه مخاطب لطمه وارد نکند؛ چراکه انسان‌ها در دعاهایشان خداوند را به عنوان عالی‌ترین مقام هستی مورد خطاب قرار می‌دهند. این مقاله می‌کوشد تا با روش توصیفی - تحلیلی و بر اساس نظریه ادب «براون» و «لویسون» و همچنین با توجه به دیدگاه‌های دانشمندان مسلمان در این خصوص، به بررسی سازوکارهای رعایت ادب در صحیفه سجادیه بپردازد و نشان دهد ایشان هنگام صحبت کردن با خداوند متعال از چه شیوه‌هایی برای ادب‌ورزی بهره می‌گیرد. نتایج تحقیق نشان می‌دهد که در صحیفه سجادیه، از ابزارهای تعدیلی گوناگونی جهت تلطیف فضای امر و کاهش تحمیل خواسته وجود دارد. پرهیز از بیان درخواست به صورت مستقیم، به‌کار بستن ادب رسمی، استفاده از سبک گزارش، تحقیر شأن و جایگاه خود و بالا بردن مقام مخاطب در خلال توصیف و گزارش از حالات خود و مخاطب، از مهم‌ترین شیوه‌های رعایت ادب در صحیفه سجادیه است.

**کلیدواژه‌ها:** امام سجاد (ع)؛ رعایت ادب؛ صحیفه سجادیه؛ دعاء؛ حفظ و جبهه.